مع السيرة التحليلية من القرآن والسنة

الهجرة إلى المدينة

دكتور

محمد إمام محمد إبراهيم اللبان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهجرة الي المدينة

تمهيد :

وهو يشتمل علي :-

١-خصائص مدينة يثرب قبل الهجرة

٢- سكانها

٣- اليهود في يثرب

٤- العرب في المدينة

٥- استعداد يثرب لتقبل الاسلام

الباب الاول

وهو يشتمل علي :

١- اذن الرسول- ﷺ- لأصحابه بالهجرة إلي المدينة، وأسبا ذلك

٢- إعداد النبي- ﷺ- وتخطيطه للهجرة.

٣- تنفيذ الهجرة النبوية وتمامها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الباب الثاني

وهو عبارة عن الأعمال التي قام بها النبي - ﷺ - وأصحابه بعد الرصول الي المدينة لتأسيس المجتمع الجديد.

ويتضمن هذا الباب ما يلي :-

١- بناء المسجدالنبوي الشريف

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

٣- تحصين المدينة بالأمن، ويتمثل هذا في :-

أ- معاهدة الرسول لليهود

ب - تكوين جيش قوي قادر علي الجهاد ورد العدوان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خصائص مدينة يثرب ::

تقع هذه المدينة علي بعد حوالي ثلثمائة ميل من جهة شمال مكة، وهي واحة خصبة التربة، غزيرة المياه، تقوم الحياة فيها علي تملك الأراضي الزراعية واستثمارها، وكانت محصنة بحدود طبيعية، تساعد في حمايتها، والدفاع عنها، وتعوق حركة المهاجمين لها، ففي الجهة الشرقية تحدها (حرة واقم)[1] وفي الجهة الغربية تحدها (حرة الربوة)، وكانت جهتها الجنوبية محاطة بأشجار النخيل والزروع الكثيفة، التي يصعب علي الجيش المهاجم أن يمر فيها.

قال ابن اسحاق :"كان أحد جانبي المدينة عورة، وسائر جوانبها مُشَكَّلة بالبنيان والنخيل، لا يتمكن العدو منها".

لذلك كانت هذه المدينة الحصينة أصلح مكان لهجرة الرسول - ﷺ - وأصحابه، واتخاذهم لها مركزا للدعوة إلي الله، ويجدون فيها الأمن والاطمئنان وتتحقق لهم الحرية الكاملة في تبليغ رسالة الإسلام إلي الناس جميعا.

سكانها:

كان سكان يثرب مختلفي الجنسية، منهم العرب، ومنهم اليهود، ولم تكن لهم غاية واحدة مشتركة تساعد علي الترابط بينهم، ولذلك كانوا منقسمين علي أنفسهم أقبح انقسام بسبب العصبية، واختلاف الدين، والتنازع علي السيادة وعلي امتلاك أفضل البقاع الزراعية.

ولم يكن الانقسام واقعا بين العرب واليهود فقط، بل وقع بين طوائف

---

(١) الحرة :أرض ذات حجارة سود، كأنها أحرقت، يمتنع فيها المشي بالأقدام، ومشي الإبل والخيل، فضلا عن مرور الجيش.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليهود ،ووقع بين قبائل العرب، وكانت القوة هي السبيل الوحيد لفض المنازعات بين طوائف هذا المجتمع، لذلك كثرت الحروب بينها ، واشتد النزاع، حتي صارت الحياة في يثرب جحيما لا يطاق.

اليهود في يثرب:

كان اليهود في يثرب مكونين من ثلاث قبائل، هي : "بنوقينقاع"، و؛بنو قريظة"، و"بنو النضير".

وقد أتت هذه القبائل إلي يثرب، فرارا من الرومان، الذين أسقطوا الدولة اليهودية، وخربوا بيت المقدس سنة ٧٠ م فتشتت اليهود في أنحاء العالم، ودخلت جموع منهم شبه الجزيرة العربية، وحينما وصل اليهود إلي يثرب كان يسكنها عشائر عربية، فسمحت لليهود الفارين بالإقامة معها ، عملا بالأخلاق العربية الأصيلة، في قبول اللاجئين، وايوائهم.

وشيئا فشيئا كثر عدد اليهود ، وأخذوا في إقامةالحصون، ليتفوقوا علي السكان الأصليين الذين سمحوا لهم بالإقامة معهم.

وكانت معظم تعاملاتهم مع غيرهم تقوم علي المراهنات، وأكل الربا ، وعن طريق هذه المعاملات السيئة تمكنوا من السيطرة علي الجوانب الاقتصادية في المدينة وضواحيها ، وقوي نفوذهم المالي، وصاروا يتحكمون في الأسواق تحكما فاحشا، ويحتكرونها لمصلحتهم، فكرههم الناس بسبب أنانيتهم، وسوء معاملاتهم[1]، وبالتدريج صاروا يمتلكون أفضل الأراضي الزراعية، وصاروا أصحاب الكلمة العليا في المدينة.

---

(١)بنو إسرائيل في القران والسنة جـ١ صـ٧٩- ٨١ ، وسيرة ابن هشام جـ٢ صـ١٣٦ بالهامش ط التحرير تحقيق محمد محي الدين ،عبد الحميد، والبداية والنهاية لابن كثير جـ٣ صـ٣٩ ط دار الفكر العربي ويراجع سيرة ابن هشام جـ١ صـ١٦ في نسب بني قريظة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنهم لم يلبثوا حتي ضعف التضامن بينهم، وأخذت روح الانفصالية والتنافس تظهر بين جماعاتهم، وحلت العداوة والحروب بينهم، وقد أشار القرآن الكريم إلي ذلك بقوله تعالي :﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أساري تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ (١).

العرب في المدينة

كان يجاور اليهود في يثرب قبيلتان عربيتان كبيرتان، هما الأوس والخزرج ويرجع أصلهما إلي قبائل الأزد اليمنية، التي هاجرت من اليمن، بسبب اضطراب الأحوال فيها وتهدم سد مأرب.

والسيادة في يثرب كانت أولا في يد اليهود، فأرادوا أن ينتفعوا بالأوس والخزرج في الزراعة، لذلك أقاموا معهم حلفا، ولما كثر عدد الأوس والخزرج خاف اليهود منهم، فقطعوا الحلف معهم، وفكروا في طردهم من المدينة، فاستعان الأوس والخزرج بأقاربهم الغساسنة، الذين كانت لهم مملكة في بادية الشام، وبمساعدة الغساسنة تغلب الأوس والخزرج علي اليهود، ودخلوا يثرب، وتملكوا الأرض الزراعية إلي جانب اليهود، وصارت السلطة في أيديهم، وذلت اليهود، فتحالف بعضهم مع الأوس، وتحالف آخرون مع الخزرج، وعدلوا عن القتال إلي سياسة الدس والتفريق والوقيعة بين الأوس والخزرج، حتي لا يجتمعوا عليهم.وظل الأوس والخزرج بعد تغلبهم علي اليهود زمنا وكلمتهم واحدة، ثم دبت العداوة بينهم، بسبب دس اليهود بينهم، وبسبب تنازعهم علي

---

(١) البقرة ٨٤. ٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تملك الأراضي الزراعية، فقامت بينهم حروب كثيرة استمرت أكثر من مائة عام، وكان آخرها معركة (بعاث) التي وقعت بينهم قبل الهجرة بخمس سنوات[١]. وفي أولها انتصرت الخزرج علي الأوس، ثم هزمت في آخرها، وأخذ اليهود المتحالفون مع الأوس يحرضونهم علي القضاء نهائيا علي الخزرج، فأدرك الأوسيون خطورة ذلك، ورأوا أنهم لو قضوا علي إخوانهم الخزرج لبقوا وحدهم أمام اليهود، وحينئذ تتحقق خطة اليهود في القضاء علي العرب جميعا في يثرب، لذلك توقفوا عن القتال بعد أن صاح فيهم عقلائهم قائلين :

يا معشر الأوس كفوا عن إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب، ويقصدون بالثعالب اليهود، لمكرهم وخداعهم.

استعداد يثرب لتقبل الإسلام :

إن الوضع السيء الذي كان عليه مجتمع يثرب قد جعله مستعدا لقبول الإسلام أكثر من أهل مكة، فقد كان هذاالمجتمع في حاجة إلي الإسلام، ليسكت صوت العصبية ويحسم الصراع علي السلطة والسيادة ويحقن الدماء، ويوحد الصفوف،ويقضي علي فتن اليهود ودسائسهم.

لذلك كان الأوس والخزرج أحرص الناس علي التحالف مع رسول الله - ﷺ - لأنهم كانوا في حاجة ماسة إلي من يصلح أحوالهم، ويعيد الأخوة بينهم، بعد الأضرار الكثيرة التي لحقتهم بسبب حروبهم الكثيرة .

وكان اليهود يفاخرونهم بدينهم وكتابهم، ويعيرونهم بوثنيتهم، ويهددونهم بقرب ظهور نبي جديد يحطم الأصنام، وقد هيأهم هذا لتقبل فكرة الديانة السماوية، ونبذ الوثنية التي كانوا عليها.

---

(١)فتح الباري ج٥ صـ٨٥ ط السلفية باب الهجرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم يكن هناك خوف علي هذا التحالف من جهة اليهود، لأن الأوس والخزرج قد أصبحوا أصحاب الكلمة العليا في المدينة، فإذا تحالف معهم النبي- ﷺ -ودخلوا في دينه، فلن يستطيع اليهود منعه من دخول يثرب.

وقد قتل في يوم بعاث كثير من زعماء الأوس والخزرج، الذين كان يمكن أن تقف مطامعهم في وجه الإسلام، وتشكل خطورة علي هذا التحالف، قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها :"كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله، قدم رسول الله - ﷺ - المدينة، وقد افترق ملؤهم، وقتل سراتهم"(١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البـــاب الأول

وهو يشتمل علي -

١. إذن الرسول - ﷺ - لأصحابه بالهجرة إلي المدينة وأسباب ذلك.

٢. إعداد النبي- ﷺ- وتخطيطه للهجرة.

٣. تنفيذ الهجرة النبوية وتمامها.

بزغ نور الدعوة الإسلامية في مكة كما قدمنا، وشاء الله سبحانه أن يبدأ الصراع بين الحق والباطل في ربوعها وعلي أرضها، وهذه سنة الله في الحياةوفي الدعوات مصداقا لقوله تعالي :﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الأمثال﴾[١].

ونعرف من خلال دراستنا كيف قال ورقة بن نوفل لرسول الله - ﷺ- حين عرض الرسول - ﷺ- أمره عليه، فقال له ورقة : ياليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله - ﷺ- : أو مخرجي هم؟ قال : نعم، لم يأت رجل قط مثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزراً" [٢].

واشتد الصراع بين الحق الأعزل والباطل المتحفز المسلح القوي، وصبر المسلمون صبر الأبطال حتي يجعل الله لهم مخرجا، ومرت السنون وتوالت الأيام وقريش تزيد من عنتها واضطهادها لفتنة المؤمنين، حتي أصبح المسلمون بين

---

(١)سورة الرعد-١٧

(٢)انظر السيرة النبوية جـ٢ صـ١٧٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفتون في دينه ومعذب في أيديهم وهارب في الآفاق فرارا بعقيدته منهم من ذهب إلي أرض الحبشة، ومنهم من هام علي وجهه في كل حدب وصوب، وفي وسط هذا الليل الطويل، والظلمات الكثيفة، ظهرت بروق رحمة الله بالمؤمنين ونصره للعاملين وصدق الله ﴿حتي اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾ (١).

فاذا بيثرب "المدينة المنورة" تفتح زراعيها للمؤمنين وتحتضن العاملين المجاهدين، إيذانا لإقامة مجتمع جديد في بلد آمن.

إذن الرسول - ﷺ - لأصحابه بالهجرة إلي المدينة وأسباب ذلك:

لما شرح الله قلوب أهل يثرب للإسلام وحبب إليهم الإيمان، وسري فيهم الإسلام وبايع الأنصار رسول الله علي النصرة له ولمن تبعه وآوى إليهم من المسلمين، توجهت أنظار المسلمين للهجرة إليها.

روي البخاري عن أبي موسي الأشعري : قال : قال : رسول الله - ﷺ - وهو يومئذ بمكة للمسلمين :" قد رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلي أرض بها نخل فذهب وهلي إليّ أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة " يثرب.

وفي رواية عن عروة عن عائشة : قالت : قال رسول الله- ﷺ - :" قد رأيت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين"(٢) فأمر الرسول - ﷺ- أصحابه ممن بقي معه بمكة من المسلمين بالهجرة الي المدينة واللحوق باخوانهم

---

(١)سورة يوسف ١١٠

(٢)البخاري ٣٦٩/١٢، ٣٧٠ في التعبير ومسلم رقم ٢٢٧٢ في الرؤيا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الأنصار، وقال - ﷺ-: "إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناودارا تأمنون فيها" (١).

فخرجوا إليها أرسالا، طاعة لله ورسوله، ونصرة للدين الحق وإقامة لمجتمع الإسلام ودولته في المدينة.

هجرة الصحابة إلي المدينة :

هاجر المسلمون زرافات ووحدانا وكان أول من هاجر الي المدينة من أصحاب رسول الله - ﷺ - "أبو سلمة" عبد الله بن عبد الاسد بن هلال وعامر بن أبي ربيعة ومعه امرأته ليلي بنت حثمة العدوية، ثم عبد الله بن جحش، ثم هاجر عمر بن الخطاب ولحقه من أهله أخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي زوج حفصة وغيرهم، ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم في مشاهد بطولية وإيمانية فريدة وعلي مر التاريخ(٢).

هجرة النساء :

لم تقتصر الهجرة علي الرجال، بل هاجر النساء كذلك فرارا بدينهن من الشرك والعنت والبغي والفجور ليشاركن في صنع المجتمع الايماني الجديد، وليحملن الرسالة ويؤدين الامانة ابتغاء رضاء الله والجنة، فهاجر من النساء المسلمات جموع كثيرة، منهن زينب بنت جحش وحمنة بنت جحش وأم قيس بنت

---

(١)تاريخ ابن جرير الطبري ٢/٣٦٩، الروض الانف ٢/٢١١، سيرة ابن كثير ٢/٢١٥ ومختصر صحيح مسلم كتاب الرؤيا ص٣٣٩.

(٢)سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٧٧ ط كتاب التحرير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وأم سلمة رضي الله عنها، وغيرهن كثيرات كن مثالا للتضحية والفداء والصبر في سبيل الله تعالي.

بطولات في الهجرة :

لم تكن هجرة المؤمنين من مكة إلي المدينة عملا سهلا، أو فعلا ميسورا علي النفس، فالمسلمون قد تركوا ديارهم وأموالهم وعشيرتهم، وخرجوا بأنفسهم مستخفين مطاردين مؤثرين الله ورسوله علي كل هذه الدنيا بأموالها وما فيها يشترون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، وصدق الله :﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله- أولئك هم الصادقون﴾[1].

خرجوا ملاحقين مستباحين يتربص المشركون بهم في كل مكان ليردوهم أو يأخذوا أموالهم ومتاعهم وما في أيديهم، ورغم ذلك خرجوا أبطالاً كراماً ومجاهدين كبارا، وصدق الله :﴿ ثم إن ربك للذين هاجروامن بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾[2] .

هجرة صهيب :

لما هاجر صهيب الي المدينة تبعه نفر من المشركين فنثر كنانته [3] وقال لهم : يا معشر قريش تعلمون أني من أرماكم والله لا تصلون إليّ حتي أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، قال له كفار

---

(١)الحشر -٨

(٢)النحل ١١٠

(٣)الكنانة كيس صغير من الجلد يوضع فيه السهام، التي تستعمل في الحرب لرمي الأعداء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قريش : أتيتناصعلوكا حقيراً فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك أبدا ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي، قالوا : فدلنا علي مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا علي ذلك، فدلهم عليه، ولحق برسول الله- ﷺ -فقال له رسول الله - ﷺ-:" ربح البيع أبا يحيي" فأنزل الله عز وجل ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾ [1].

أرأيت كيف كانت شجاعة صهيب رضي الله عنه وبأسه، وكيف أخاف بإيمانه وبسالته الجمع الكثير، وكيف ضحي بكل مال جمعه من عرقه وتعبه ونصبه طوال سنين عدة قضاها في مكة عاملا مكافحا ، وما ذلك كله إلا في سبيل الله، وفي سبيل دعوة الإسلام وشراء نفسه من الكفر والبغي والضلال، ولكن هل يضيع الله أجر من أحسن عملا، كلا وألف كلا فالله رءوف بالعباد ولن يضيع أجر المحسنين.

هجرة أبي سلمة وزوجه:

لما أجمع أبو سلمة علي الخروج إلي المدينة هو وزوجه وابنه قال له أصهاره[2] هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ؟

---

(١)اسد الغابة ترجمة صهيب بن سنان بن مالك الرومي جـ٣ صـ ٣٦ ط الشعب، والقرطبي جـ٣ صـ ٨٢٨ ط الشعب قال :والحديث أخرجه رزين والإصابة لابن حجر ج ٥ صـ١٦١ ترجمة صهيب، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر جـ٥ صـ١٥٩ ط مكتبة الكليات الإزهرية ترجمة رقم ٢٥٣٦ وقال ابن عبد البر : ان الحديث موقوف علي ابن المسيب .

(٢)أهل زوجته يراجع سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٧٧ ط كتاب التحرير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخذوا منه زوجته وابنه، فغضب آل أبي سلمة لرجلهم، وقالوا : لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا، وتجاذبوا بينهم الغلام فخلعوا يده، وذهبوا به وانطلق أبو سلمة وحده إلي المدينة، فكانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها تخرج كل غداة ألي الأبطح (١) تبكي حتي تمسي، نحو سنة.

فرق لها أحد ذويها، وقال: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها!!

قالت : قالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري. ثم خرجت أريد زوجي في المدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله.

قالت: حتي إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بنى عبد الدار، فقال لي: إلي أين يابنت آبي أمية؟ قالت: فقلت: أريدزوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ فقلت: لا والله إلا الله وبني هذا ، قال: والله مالك من متروك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أري أنه كان أكرم منه .. حتي أقدمني المدينة ثم انصرف راجعا إلي مكة.

أرأيت كيف تفعل العقيدة في قلوب المؤمنين، وكيف تستعلي علي كل شيء علي المال وعلي الأهل وعلي الولد ابتغاء ثواب الله ورضوانه سبحانه

---

(١)مكان بين مكة ومني، والقصة التالية وردت كاملة في سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٧٧، ٧٨ وذكرها صاحبال بداية والنهاية جـ١ صـ٢٤٢ ط دار الفكر - بتمامها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكيف يقهر الإيمان الصعاب ويزلزل الجبال ويتخطي العقبات التي لا يطيقها الا مؤمن ولا يقدر عليها الا أهل العقائد الذين قبسوا من نور الهدي الإلهي، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

خوف المشركين من الهجرة:

توجس المشركون خيفة من هجرة المسلمين ومن اجتماعهم في المدينة وظهور دعوتهم، فهاجت في دمائهم دوافع الشر الكامن والحقد الأسود، خاصة وقد علموا أن الرسول - ﷺ - لابد أن يلحق بأصحابه، وإذا تم ذلك يصبح المسلمون قوة في المدينة يخشي جانبها، خصوصا وأن المدينة علي طريق الشام طريق تجارة قريش، والمجتمع القرشي كانت حياته في التجارة، فقطع التجارةيعني لهم قطع شريان الحياة، أو قطع الدماء من عروقه، خاصة وأن المشركين قد أخذوا أموال المسلمين وعذبوهم وطردوهم من ديارهم ومن ثم فإن قريشا تخشي القصاص العادل.

إعداد الرسول - ﷺ -للهجرة :

تتابعت هجرة المسلمين من مكة زرافات ووحدانا حتي كادت مكة أن تخلو من المسلمين، وشعرت قريش بأن الإسلام أضحت له دار يأوي إليها وحصن يحتمي به وقد استقبلهم الأنصار بالحب والترحاب ففكر رسول الله - ﷺ- في الهجرة وأخذ يستعد لها حتي يأذن الله بذلك.

الإعداد من سنن الله في النصر :

لا نعلم بشرا أحق بنصر الله وأجدر بتأييده من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ذلك لمابعثوا به من هدي ولما لاقوا في سبيل تبليغه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من هول، ومع ذلك أمروا باتباع الأسباب، لأن استحقاق تأييد الله ونصره لا يأتي الا بعد استفراغ الجهد في الأخذ بالأسباب الموصلة إلي المقصود واستكمال وسائله المؤدية إلي المطلوب.

ولهذا فإن الرسول - ﷺ- قد أحكم خطة هجرته، وأعد لكل شيء عدته، ولم يدع في تصرفاته شيئا للمصادفات العمياء وهذا شأن المؤمن في كل عمل يقوم به يأخذ بالأسباب، ثم يتوكل علي الله سبحانه وتعالي بعد استفراغ الجهد في أداء واجبه، فإذا أخفق بعدذلك، فإن الله لا يلومه علي ما وقع فيه قال تعالي :{ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل}(١) وقال تعالي: «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا »(٢).

هجرة الانبياء :

ما من نبي من الأنبياء إلا نبت به دياره وعاداه قومه وطاردته عشيرته، فهاجر عنهم وتحمل في سبيل ذلك من المصاعب والعقبات ما تحمل. هاجر إبراهيم أبو الأنبياء من العراق إلي فلسطين ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط، قال تعالي:« فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلي ربي إنه هو العزيز الحكيم»(٣).

وقال الملأ لشعيب عليه السلام :{ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين}(٤).

(١)الانفال -٦٠

(٢)النساء- ٧١

(٣)العنكبوت-٢٦

(٤) الاعراف -٨٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهاجر موسي عليه السلام إلي مَدْين فراراً من مؤامرة خبيثة حيكت لقتله قال تعالي:« وجاء رجل من أقصي المدينة يسعي قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين »(١) .

وهاجر عيسي عليه السلام هاربا من اليهود بعد أن كذبوه وأرادوا الفتك به، فلا غرابة أن يهاجر رسولنا عليه السلام من بلاد منعه أهلها من تبليغ رسالته وتآمروا فيها علي قتله «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »(٢).

الهجرة رحلة بشرية لا معجزة إلهية :

كانت هجرة الرسول - ﷺ- من مكة إلي المدينة، رحلة بشرية وخطة نبوية جهادية ودرساً عمليا للمجاهدين العاملين المقتدين برسول الله - ﷺ-ولم تكن هجرته - ﷺ-معجزة ربانية كالإسراء والمعراج، لانها خطة كفاح وجهاد وأسوة وطريق عمل ونضال ودرس ثبات وصبر وتضحية وعطاء علي طريق الحق سبحانه، ومواقف امتحان واختبار وبلاء ليميز الله الخبيث من الطيب والمجاهدين من القاعدين، وصدق الله :«أحسب الناس أن يتركوا يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - ﷺ- ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »(٣).

---

(١)القصص-٢٠-٢١

(٢)الاحزاب ٦٢

وذكره صاحب البداية والنهاية جـ١ صـ٢٤٢ ط دار الفكر وجـ٢ صـ٨٨ .

(٣)العنكبوت -٢-٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بدء الإعداد للهجرة :

بدأ الرسول - ﷺ - يعد للهجرة إلي المدينة، ويضع الخطة لذلك ويأخذ بالأسباب ويستفرغ الجهد في ذلك ويعمل الحيلة، ليسلم من أذي المشركين وكيدهم وكان من خطوات هذا الإعداد ما يلي :

١- اختير الرفيق والصاحب في الهجرة، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد جاء أبو بكر رضي الله عنه يستأذن الرسول في الهجرة فقال له: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا، وأحس أبو بكر كأن الرسول يعني نفسه بهذا الرد.

٢- إعداد الرواحل التي ستحمل الرسول وصحبه إلي المدينة.

٣- إعداد الدليل وخبير الطريق الذي سيصحب الرسول - ﷺ - وصحبه وقداستأجر الرسول لذلك عبد الله بن أريقط من بني الديلم بن بكر وكان هاديا ماهرا، وكان علي دين قومه، فأمناه ودفعا إليه الرواحل وواعداه عند الخروج غار ثور.

٤- استكشاف المكان الذي سيختفي فيه الرسول وصحبه عند خروجهما بمكة حتي يهدأ الطلب وهو غار ثور.

٥- تدريب علي بن أبي طالب علي خطة لتضليل المشركين وخداعهم بالنوم مكان الرسول - ﷺ - .

٦- إعداد من يأتي الرسول - ﷺ- بأخبار المشركين بمكة وهو في الغار، واختير لذلك عبد الله بن أبي بكر الصديق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧- إعداد من يأتي بالطعام والشراب، ويطمس علي آثار أقدام من يأتي إلي رسول الله - ﷺ - وصاحبه في الغار.

المؤامرة علي رسول الله - ﷺ-:

أرادت قريش أن تتخذ موقفا حاسما بشأن محمد - ﷺ -يقضي عليه وعلي دعوته، خاصة، وانه ما زال في مكة، وبذلك تكون قريش قد أجهزت عليه - ﷺ - وعلي الدعوة قبل أن يقضي علي ديانتها وهيبتها. فاجتمع كفار مكة وطواغيت الشرك في دار الندوة ليتخذوا القرار القاطع :﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ (١).

قال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه علي الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيكم فتشاوروا، ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد واغلقوا عليه الباب ثم تربصوا به ما أصاب غيره من الشعراء الذين كانوا قبله حيث ماتوا في سجونهم

تشاور القوم حول هذا الرأي ثم رفضوه، وقالوا : والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلي أصحابه، فيثبون عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتي يغلبوكم علي أمركم، فما هذا لكم برأي، فانظروا غيره.

فقال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من البلاد فإذا خرج عنا فو الله لا نبالي أين ذهب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاستبعد القوم هذا الإقتراح. وقالوا ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه، وغلبته علي القلوب. بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يتبعه الناس ثم يسير بهم إليكم حتي يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم ويفعل بكم ما أراد.

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم علي مثله بعد، فقالوا : وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أري أن نأخذ من كل قبيلة فتي شابا جلدا نسيباً وسيطا فينا ثم نعطي كل فتي منهم سيفا صارما، ثم يعمدون إليه فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، ويتفرق دمه في القبائل جميعا فلا يقدر بنو عبد مناف علي حربهم جميعا، فيرضون منا بالدية [١].

فقالوا جميعا: هذا هو الرأي، وتفرق القوم علي ذلك وهم مجمعون عليه وبدأ الإعداد لإغتيال الرسول- ﷺ -.

وهكذا يريد الباطل أن يغتال الحق الأعزل ولو كان يحمله نبي أو رسول أو داعية إلي الصراط المستقيم، وهذه سنة الباطل في كل زمان ومكان﴿ والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٢].

القران يفضح المؤامرة :

ما كان الحق سبحانه وتعالي ليترك رسوله- ﷺ - بدون أن يعلمه بما بيت له المشركون ودبر له الغادرون وصدق الله ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير

---

(١)انظر في ذلك سيرة ابن هشام علي الروض الانف ٢/ ٢٢٢ مكتبة الكليات الازهرية

(٢)يوسف -٢١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الماكرين}.فإذا بالحق سبحانه يخبر رسوله- ﷺ- بالمؤامرة، قال ابن اسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم فيما كانوا أجمعوا له قوله تعالي:{ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} وقوله تعالي :{ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون}[1].

تنفيذ الهجرة النبوية :

كان من الطبيعي بعد الإتفاق علي قتل الرسول- ﷺ - ان يصبح وضعه- ﷺ- في مكة حرجاً، فإن المشركين لا ينتظرون إلا موعد التنفيذ، ثم يجهزون علي صاحب الرسالة، ولقد كان من الطبيعي أن يتحول الرسول - ﷺ - من هذه الأرض الجدبة التي رفضت الدعوة وتآمرت عليها إلي أرض قبلتها ورحبت بها، خاصة وأن أصحابه - ﷺ- قد سبقوه إليها وأن أهل يثرب يتشوقون إليه - ﷺ - وينتظرون هجرته، وقد أذن له الله في الهجرة، وأراه سبحانه مكانها في منامه، وقد أعد لها - ﷺ -إعدادا جيدا كما رأينا.

إخبار الرسول لأبي بكر بموعد الهجرة :

ذهب الرسول - ﷺ -إلي أبي بكر في داره في وقت القيلولة في الهاجرة[2] عندما هدأ الناس في بيوتهم، وفي ساعة ما كان ليأتي فيها، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال : ما جاء رسول الله- ﷺ- في هذه الساعة إلا لأمر حدث.

قالت عائشة : فلما دخل رسول الله - ﷺ - تأخر أبو بكر عن سريره

---

(١) سيرة ابن هشام علي الروض الانف ٢/٢٢٣، ٢/٢٣١ط الحلبي

(١)نصف النهار عندما يشتد الحر .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فجلس رسول الله -ﷺ -وليس عند رسول الله أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر.

فقال :-ﷺ -" أخرج عني من عندك، قال أبو بكر : يا رسول الله إنما هما إبنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي.-وكان أبو بكر يثق في أمانة عائشة وأسماء - فأخبر الرسول-ﷺ - أبا بكر بموعد الهجرة وقال : إن الله قد أذن لي في الهجرة.

قالت : عائشة : فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال : الصحبة.

قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك أحدا يبكي من الفرح حتي رأيت أبا بكر يومئذ يبكي[١].

شيئ عجيب يلفت الأنظار، جماعة مستباحة الدم والمال، الدنيا تطاردهم وتتآمر عليهم وتريد أن تفتك بهم وأمامهم طريق الهجرة وهو طريق طويل محفوف بالمخاطر والأهوال، ثم تجدهم لا يخافون بل يسرون ويتشوقون.

تنفيذ الهجرة وليلة البداية :

علمنا فيما سبق ان الرسول - ﷺ- استبقي اثنين من أصحابه. أبا بكر وعليا رضي الله عنهما وذلك ليؤديا ما حدده الرسول لهما، فعلي رضي الله عنه يبيت مكان الرسول في الفراش ويؤدي الأمانات التي عند رسول الله-ﷺ -الي أهلها.

---

(١)الحديث روي بتمامه في البخاري كتاب مناقب الانصار باب هجرة النبى - ﷺ- واصحابه الى المدينة حديث رقم ٥ ٣٩ عن عائشة صـ١٥ من صـ٨٤ ال ٩٣ فتح الباري ويراجع سيرة ابن هشام جـ٢ صـ ٩٧ في هجرة النبى- ﷺ- وصحبه ابى بكر رضى الله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأبو بكر لصحبته - ﷺ- في الطريق الطويل والسفر المحفوف بالمخاطر وما أن جاءت ليلة تنفيذ حكم الإعدام في قائد الدعوة الإسلامية ورسولها حتي أخبره جبريل عليه السلام بموعد التنفيذ. وقال يا محمد لا تبت هذه الليلة علي فراشك الذي كنت تبيت فيه.

وها هي قريش ترصد تحركاته - ﷺ- حتي لا يفلت منها. وها هو الرسول - ﷺ - يدخل بيته وبصحبته الفتي الشجاع التقي، علي بن أبي طالب.

وما كاد يحل الظلام، حتي تسللت عصابة الغدر مسلحين، واحدا وراء آخر حتي اجتمعوا حول داره الشريفة، يحيطون بها ينتظرون لحظة الهجوم الغادر للخلاص منه - ﷺ - ليفرقوادمه بين القبائل.

فلمارأي الرسول - ﷺ -فعلهم، قال لعلي بن أبي طالب، نم علي فراشي وتسج ببردتي هذه فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان من عادة رسول الله أن يلتحف ببردته هذه اذا نام. ففعل علي رضي الله عنه ذلك وبعد فترة من الليل وقبيل الفجر في وقت يفتر فيه الجسد وتسكن فيه الروح، انسل الرسول - ﷺ- من بيته وخرج وهو يقرأ قوله تعالي :{ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون}(١).

فألقي الله النوم عليهم حتي لم يره أحد من المشركين المتربصين، وذهب الرسول - ﷺ- إلي أبي بكر الصديق في المكان الذي تواعد فيه خارج مكة وسارا الي غار ثور فاختفيا فيه.

---

(١)يس- ٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبات المشركون المتربصون بقبة ليلهم يحرسون علي بن أبي طالب حتي جاءت ساعة الهجوم الموعود والاقتحام الغادر وما أن كشفوا البردة عن النائم ليذبحوه ويقضوا عليه، وعلي الدعوة، حتي وجدوا علي بن أبي طالب يبتسم سخرية منهم، فهاجوا وغضبوا وتلاوموا ورصدوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدل عليه هو وصاحبه.

في غار ثور :

يقع غار ثور علي قمة جبل شامخ في جنوب مكة وعلي بعد خمسة أميال منها في جهة مضادة لطريق المدينة.

وقد اختاره الرسول - ﷺ - في جهة غير جهة المدينة زيادة في تضليل المشركين وإحكاما لخطة التمويه علي المطاردين لأن أنظار الكفار ستتجه لأول وهلة إلي طريق المدينة شمالا.

وصل الرسول - ﷺ - وأبو بكر إلي غار ثور وتواريا في بطنه عن أعين الأعداء.

مخابرات الرسول في مكة :

انطلق عبد الله بن أبي بكر يباشر مهمته التي رسمت له، يتسمع ما يقوله المشركون في مكة نهارا، ثم يأتي الرسول - ﷺ - في الغار ليلا بأخبار المشركين، ليري الرسول - ﷺ - وصاحبه ما يجب أن يفعل بعدما يعلم ما يدور في رءوس المشركين، حتي يمكن متابعة تنفيذ الخطة أو تعديلها علي ضوء ذلك.

توصيل الزاد والتعفية علي الآثار :

كانت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - تأتي رسول الله - ﷺ -

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأباها في الغار بما يصلحهما من زاد وطعام ليلا، تخرج متخفية من مكة حتي لايشعر بها أحد من المشركين إلي غار ثور، ثم ترجع إلي مكة، ليلا متحملة في ذلك جهدا كبيرا في صعود الجبال الوعرة في ظلام الليل الداكن، ووسط جبال وصحار موحشة وكان عامر بن فهيرة مولي أبي بكر يرعي غنمه نهاره قرب الغار ثم إذا أمسي ذهب اليهما بغنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا فإذا جاء عبد الله وأسماء الي الغار ورجعا، اتبع عامر بن فهيرة اثرهما بالغنم حتي يعفي علي آثارهما[1].

قريش علي باب الغار :

علي الرغم من كل هذاالجهد البشري في الاخفاء والسرية من جانب الرسول - ﷺ-والعاملين في الهجرة، وصلت قريش في هياجها المتواصل وبحثها الدءوب في كل شبر من الأرض في مكة وحولها وفي الطرق المؤدية إلي المدينة وغيرها، وصل المشركون إلي باب الغار ورسول الله - ﷺ -وصاحبه بداخله.

عناية الله مع الرسول في الغار :

ما أخطرها لحظات تمر وليس هناك من مخرج أو مهرب وقد أصبح الرسول والرسالة قاب قوسين أو أدني من هذاالخطر المحيط بهما، ونظر أبوبكر بأم عينه إلي جموع المشركين الغاضبة وإلي أقدامهم علي باب الغار، فارتعد خوفا ليس علي نفسه ولكن علي رسول الله وعلي الدعوة، فقال لرسول الله هامسا : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا!!

---

[1] ابن هشام : السيرة النبوية، ج ٢، ص ٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويجيء رد الرسول الثابت الواثق في موقف تنخلع له الألباب والعقول : "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا"[1].

نعم فلو اجتمعت جنود أهل الأرض كلها واحتشدت عند باب الغار لتنال من الرسول وصاحبه فإنها لا تستطيع، لان معهما عناية الله سبحانه.

وماأجمل وأسمي تلك الكلمات الإلهية حين تعلن هذه الحماية لتكون درسا للمتقين علي مر الزمان فتقول :

{ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم}[2].

الخروج من الغار :

بعد أن مكث الرسول - ﷺ - وأبو بكرفي غار ثور ثلاثة أيام، وبعد أن هدأ الطلب وسكنت العيون، وفتر الناس عنهما، أتاهما الدليل عبد الله ابن أريقط حسب الخطة التي وضعها رسول الله - ﷺ-ومعه بعيران لهما وبعير له، وجاءت أسماء بنت أبي بكر بزاد الطريق من طعام وماء، فلما ارتحلوا ذهبت

---

(١)تفسير ابن كثير جـ٢ صـ ٣٥٨ ط عيسي الحلبى قال : رواه احمد وهو فى الصحيحين وجاء فى زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم للشبيخ الشقنيطى جـ٤ صـ١٤١ حديث قم ٩٣٣ جـ١ مؤسسة الحلبى وقد أسهب الشيخ في شرحها - والبخارى فى علامات النبوة فى الاسلام وفي آخر باب الهجرة جـ١٥ حديث رقم ٣٩٠٦ من صـ ٩٣

(٢)سورة التوبة (٤٠)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتعلق الطعام بالرحل ثم [illegible] فشقت نطاقها وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر.

فسميت ذات النطاقين.

هجرة كلها لله :

قدم أبوبكر الراحلتين لرسول الله - ﷺ - وكان أبو بكر قد دفع ثمنهما بمكة عند الشراء وقال : اركب يا رسول الله فداك أبي وأمي، فقال - ﷺ- إني لا أركب بعيرا ليس لي، قال أبو بكر : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي.

قال : لا، ولكن ماالثمن الذي ابتعتها به؟

قال أبو بكر : هي بكذا وكذا : قال -ﷺ - قد أخذتها به قال : هي لك يارسول الله. فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر ابن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق(١).

مخاوف الطريق :

سار الدليل بالرسول وصاحبه بعيدا عن الأنظار باتجاه اليمني ثم اتجه شمالاً نحو المدينة في طريق لم يعتده الناس واجتاز بهما أماكن غير مألوفة، غير أن قريشا ساءها أن تعجز عن العثور علي محمد -ﷺ - وصاحبه فجعلت جائزة هي مائة ناقة لمن يأتي بالرسول ومائة ناقة لمن يأتي بأبي بكر ومائتان من الأبل ثروة في وسط الأعراب تغري بارتكاب المخاطر والصعاب

---

(١)سيرة ابن هشام على الروض الانف جـ٢ صـ ٢٢٤، وهو جزء من حديث رقم ٣٩٠٥ جـ١٥ صـ ٨٩ فتح البارى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأهاج ذلك المشركين وانتشر الأعراب في كل طريق ودرب يبحثون عن محمد وصاحبه.

سراقة بن مالك والجائزة :

سمع سراقة بن مالك بالجائزة المقدرة لمن يأتي برسول الله وصاحبه أحياء أو أمواتا، فتشوق أن تكون من نصيبه، وسراقة كألوف الناس الأشرار في كل مكان وزمان، ما أن تري أعينهم بريق الذهب والفضة أو تسمع أذانهم بالجوائز والوعود والنياشين حتي يسارعوا إلي بيع ضمائرهم وقيمهم، في سبيل الحصول علي القليل أو الكثير من ذلك المال.

وما أن مر الرسول وصاحبه علي بني مدلج مصدعين في طريقهم إلي المدينة حتي بصربهم رجل من الحي.

فقال : لقد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه، فعرف سراقة أنهم هم، ولكنه أراد أن يكذب الرجل ليفوز وحده بالجائزة.

فقال سراقة : إنك رأيت فلانا وفلانا خرجوا في حاجة لهم ...ومكث قليلا في مجلس القوم، ثم قام فركب فرسه وأخذ رمحه واقتفي أثر رسول الله - ﷺ- حتي دنا منه ومن معه وأيقن أن الجائزة أصبحت ملك يمينه - فهذا رمحه وسلاحه ولا حاجز بينه وبين الركب الأعزل.

عناية الله تحول بين سراقة وبين ما يريد :

أفرغ الرسول - ﷺ - جهده البشري في الإحتياط والتمويه، فخطط ودبر لنجاح رحلته إلي البادية، فأعدلكل إحتمال عدته كما أشرنا قبل ذلك، ولم يدع شيئا للمصادفات. ورغم ذلك أدرك سراقة رسول الله - ﷺ- وهنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أدركت عنايه الله رسوله - ﷺ- فما أن قرب سراقة من رسول الله - ﷺ - حتي ساخت قوائم فرسه، والرسول - ﷺ -يقرأ ولا يلتفت إليه، وأبو بكر يكثر الالتفات، يقول : يا رسول الله لقد أدركنا الطلب وكلما قرب سراقة من الركب الميمون تسوخ قوائم فرسه.

يقول سراقة، فيما يرويه البخاري :" فدنوت منهما حتي لإني لأسمع قراءة رسول الله - ﷺ -ثم ركضت الفرس فوقعت بمنخريها، فأخرجت قداحي من كنانتي فضربت بها - أضره أم لاأضره؟ فخرج لا تضره، فأبت نفسي حتي أتبعه، فأتيت ذلك الموضع فوقع فرسي، فاستخرجت يديه مرة أخري، فضربت بالقداح، أضره أم لا، فخرج لا تضره فأبت نفسي حتي كنت منه بمثل ذلك الموضع خشية أن يصيبني ما أصابني بأذيته ، فقلت : إني أري أنه سيكون لك شأن، فقف أكلمك.

فوقف النبي - ﷺ - وفي رواية، فناديته بالأمان، فوقفوا حتي جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم إنه سيظهر أمر الرسول-فقلت له : إن قومك جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد (أهل قريش) بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذا منى شيئا إلا إن قال - ﷺ- : اخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمان، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم، ثم مضي رسول الله - ﷺ - ورجع سراقة ليرد الطلب عن رسول الله - ﷺ- (١).

---

(١)سيرة ابن كثير ٢/٢٤٧ تحقيق مصطفى عبد الواحد ط. عيسى الحلبى، ورواه البخارى كاملاً ٧/ ١٨٠/ ١٩٣ باب الهجرة جامع الاصول ١١/ ٥٨٧ ، ورواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب الهجرة حديث رقم ٣٩٠٦ عن سراقة بن جشقم صـ٩٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان رجلا شاعرا فقال في ذلك يخاطب أبا جهل و من وراءه :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا

لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

عجبت ولم تشكك بأن محمدا

رسول وبرهان فمن ذا يقاومه

عليك بكف القوم عنه فأنني

أري أمره يوما ستبدو معالمه

إن عناية الله تدهش الإنسان من عجب رجل أجهد نفسه أول النهار في طلب رسول الله - ﷺ- طمعا في الجائزة والمال، ثم هو في آخر النهار يكون عزوفا عن هذا كله يرد الطلب عن رسول الله ويخاف عليه الأذي والشر ما الذي رد هذه الشهوة، وما الذي أصلح هذه النفس وما الذي زرع الصحراء بالأمن والاطمئنان؟!!! إنها عناية الله وصدق القائل :

وإذا العناية لا حظتك عيونها

نم فالمخاوف كلهن أمان

أم معبد علي طريق رسول الله - ﷺ- :

مر الرسول - ﷺ - في طريق هجرته في وسط الصحراء بخيمة أم معبد بنت كعب الخزاعية، وكانت امرأة عجوزا تحتبي بفناء الخيمة تطعم وتسقي، فسألها الرسول - ﷺ - هل عندك شيء، فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القري[1].

---

(١) القرى : ما يقدم للضيف من طعام وشراب ونحوه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فنظر الرسول - ﷺ - إلي شاة في ركن الخيمة فقال : " ما هذه الشاة يا أم معبد"؟ قالت: هي شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال : هل بها من لبن" فقالت : هي أجهد من ذلك، فقال : أتأذنين لي أن أحلبها؟" قالت : نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها، فمسح الرسول - ﷺ - بيده ضرعها وسمي الله ودعا، فدرت وانهمر لبنها، فدعا بإناء لها فحلب فيه حتي علته الرغوة، فسقاها حتي رويت وسقي أصحابه حتي رووا ثم شرب - ﷺ - وحلب مرة ثانية حتي ملأ الإناء ثم تركه عندها، وارتحلوا.

ثم جاء زوجها، أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتمايلن هزلا، فلما رأي اللبن عجب فقال : من أين لك هذا والشاة عازب ولا حلوبة في البيت؟

فقالت : لا والله إلا أن مر بنا رجل مبارك من حديثه كيت وكيت ومن حاله كذا وكذا، قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه، ثم قال : صفيه لي فوصفته، فقال : والله لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلي ذلك سبيلا وأصبح صوت في مكة عاليا يسمعونه ولا يرون قائله يردد:

جزي الله رب العرش خير جزائه

رفيقين حلا خيمتي أم معبد

همانزلا بالبر وارتحلا به

وأفلح من أمسي رفيق محمد

فيا لقصي مازوي الله عنكم

به من فعال لا يجازي وسؤدد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم

ومقعدها للمؤمنين بمرصد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها

فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد[1]

نفحات الرسول وبركاته - ﷺ - تحل في محل مكان نزل فيه، وعنايته وتوفيقه تصاحبه في غدوه ورواحه، ولكن الذي يعجب له كل متأمل مطاردة أمثال هؤلاء من المرسلين والصالحين. وإخراجهم من ديارهم إن ذلك ضلال مبين[2].

بشائر المدينة وترقب الوصول :

ترامت أخبار المهاجر العظيم وصاحبه إلى المدينة، وبلغ الانصار مخرج رسول الله - ﷺ- من مكة وقصده المدينة، فكانوا يخرجون كل يوم في الصباح إلي خارج المدينة ينظرون في الأفق مشوقين إلي وصوله ورؤيته - ﷺ- فإذا اشتد الحر عادوا الي بيوتهم يتواعدون الغد.

وظلوا علي هذا الترقب والحنين الي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول لثلاث عشرة سنة من البعثة.

---

(١)ذكرت هذه القصة كتب السيرة . منها سيرة ابن هشام وابن القيم فى زاد المعاد وابن كثير فى البداية والنهاية ٣/ ١٩٥ ، واوردها من المحدثين الحاكم وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبى والطبرانى وابن كثير وقد ورد الحديث بطرق كثيرة قال فيها الألبانى يرقي فيها الى مرتبة الحسن .

(٢)القصة بتمامه رواها البيهقى فى دلائل النبوة جـ٢صـ ٢٢٢ باب اجتياز رسول الله بالمراه وابنها وما ظهر في ذلك من آثار النبوة ط محمد عبدالمحسن الكتبي.

- ودلائل النبوة لابى نعيم مع ذكر ما ورد من شعر صـ٢٨٣ باب آيات في الهجرة ط دار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خرج الانصار علي عادتهم ذات يوم، ووقفوا بظاهر المدينة ينتظرون طلعته ﷺ - ويودون رؤيته. فلما حميت الظهيرة رجعوا. وصعد رجل من اليهود علي حصن من حصونهم في المدينة لبعض شأنه، فرأي رسول الله - ﷺ- وأصحابه يلوحون من بعيد، فصرخ بأعلى صوته، يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم الذي تنتظرون.

الوصول الي قباء :

ما ان سمع الأنصار بقدوم الرسول - ﷺ - حتي طاروا شوقا الي لقائه، وأسرعوا الي السلاح يستقبلونه به - ﷺ- دلالة علي الاستعداد والتضحية والمنعة للدعوة ورسولها الكريم، وقد كان هذا من شروط بيعة الأنصار " ان تمنعوني إذا قدمت عليكم" وعلت الوجوه البشائر وعمت الأفراح وسمع التكبير والتهليل يرج أنحاء المدينة.. قال البراء : جاءرسول الله - ﷺ - الي المدينة فما رأيت الناس فرحوا بشئ كفرحهم به، حتي رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون هذا رسول الله قدجاء "(١).

خرجت جموع المسلمين تستقبل الرسول القائد وتحييه بتحية النبوة وقد أحدقوا به مطيفين حوله والسكينة تغشاه.

أول مسجدفي الإسلام :

سار الرسول - ﷺ- في ذلك الموكب الكريم حتي نزل بقباء في بني عمرو بن عوف علي كلثوم بن الهدم ، وأقام في بني عمرو بن عوف أياما أسس

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخارى ٢٠٨/٧- ٢٠٩-٨/ ٥٦٨ كتاب مناقب الانصار باب تقدم النبى المدينة حديث رقم ٣٩٢٥ ط الشعب ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة - وكان هذا المسجد أول إعلان رسمي لشعائر العبادة في الإسلام، فقد كان المسلمون يصلون أحيانا خفية وأحيانا في الكعبة، وقد كان يحيط بها ثلاثمائة وستون صنما.

وكان مسجد قباء كما قال الحق سبحانه : أول مسجد أسس علي التقوي في الاسلام قال تعالي: { لمسجد اسس علي التقوي من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين}(١).

اول جمعة للرسول :

تحول - ﷺ - من قباء الي المدينة والانصار يحيطون به متقلدي السيوف، في موكب عظيم مهيب، وفي الطريق أدركته - ﷺ - صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فأقام بهم الجمعة في بطن وادي يسمي وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها في المدينة، واول خطبة خطبها فيها.

استقبال الرسول في المدينة :

وصل الرسول - ﷺ - يثرب حيث جري له وصحبه استقبال حافل من قبل أولئك الذين انتظروه طويلا وهفت نفوسهم الي لقائه، وها هي المدينة تفتح زراعيها حبا وشوقا، وتعلو حناجرها بالتكبير والتهليل، ترفع شعار الاسلام وتنادي به وتفديه بالروح.

يقول أنس بن مالك : إني لأسعي في الغلمان يقولون : جاء محمد فأسعي ولا أري شيئا، ثم يقولون : جاء محمد فأسعي ولا أري شيئا، حتي جاء رسول الله وصاحبه أبو بكر ... فخرج أهل المدينة حتي أن النساء فوق البيوت

---

(١) التوبة ١٠٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

راءينه يقلن أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيها به، قال انس : ولقد ينه يوم دخل علينا ويوم قبض فلم أر يومين شبيها بهما.

وفي الصحيحين : خرج الناس حين قدم رسول الله - ﷺ - وصحبه دينة في الطرق وعلي البيوت، وخرج الغلمان والنساء والخدم يقولون الله أكبر اء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول له" قال البيهقي: " وجعل النساء والصبيان يقلن ويرددن:[1]

طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع

والرسول - ﷺ - راكب ناقته وكلما مر علي دار من دور الأنصار خذوا بخطام ناقته، وقالوا : هلم الي العدد والعدة والسلاح والمنعة فيقول - ﷺ-:" خلوا سبيلهافانها مأمورة"[2]، ومن هذا يعلم ان المسلمين كانوا يعلمون أن للإسلام وللإيمان تبعات عاهدوا رسول الله علي تحملها وها هم يؤكدون ذلك اليوم عند لقائهم به، ويودون ان يشرفهم رسول الله - ﷺ - بالنزول عندهم للدفاع عنه، وتبليغ رسالته، وهكذا يكون أصحاب الرسل وأهل الايمان رجال صدق وفرسان جهاد في سبيل الحق، وصدق الله :{ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفي بالله حسيبا}[3].

(١)سيرة ابن كثير جـ٢/صـ٢٦٩

(٢)دلائل النبوة للبيهقى جـ٢ صـ٢٣١ استقبال أهل المدينة رسول الله - ﷺ -

(٣) الاحـ١٠ـ ٣٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نزول الرسول علي ابي ايوب الانصاري :

لم تزل ناقته - ﷺ - سائرة به لا تمر بدار من دور الانصار إلا رغبوه في النزول عليهم، وهو يقول :" دعوها فانها مأمورة" فسارت حتي وصلت الي موضع مسجده - ﷺ - اليوم ثم بركت، ولم ينزل عنها حتي نهضت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها ، وذلك في بني النجار أخواله - ﷺ - وكان ذلك من توفيق الله لها ، فإنه - ﷺ - أحب ان ينزل علي أخواله بني النجار يكرمهم بذلك، فسارع ابو ايوب الانصاري فأخذ رحل رسول الله - ﷺ - ومتاعه فأدخله بيته، وجاء الناس يكلمون رسول الله - ﷺ - لينزل عندهم فجعل الرسول - ﷺ - يقول :"المرء مع رحله".

فخرجت جواري من بني النجار يضربن بالدف وهن يقلن :

نحن جوار من بني النجار

يا حبذا محمد من جار

فقال النبي - ﷺ - :"اللهم أنتم من أحب الناس الي"وفي رواية ابن ماجة" يعلم الله أن قلبى يحبكم " قالها ثلاث مرات(١).

وهكذا نزل الرسول - ﷺ - المدينة ليبدأ مرحلة أخري من مراحل الدعوة، مرحلة تكوين الدولة التي ستحمي الدعوة وتجمع المسلمين وتكون لهم حصنا ومنطلقا، وتخرج الناس من الظلمات الي النور بإذن ربهم الي صراط العزيز الحميد.

---

(١)ذكره ابن حجر فى الفتح حديث رقم ٣٩٢٥صـ ١٢٠ جـ١٥وقال ابن حجر اخرجه الحاكم عن انس .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الباب الثانـــى

وهو عبارة عن :

الأعمال التي قام بها النبي - ﷺ - وأصحابه بعد وصوله الي المدينة لتأسيس المجتمع الجديد.

وتتضمن هذه الوحدة ما يلي :

١- بناء المسجد النبوي الشريف.

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

٣- تحصين المدينة بالامن ويتمثل ذلك في :

أ- معاهدة الرسول لليهود.

ب- تكوين جيش قوي قادر علي الجهاد ورد العدوان.

أسس البناء للمجتمع المسلم :

بعد أن وصل الرسول - ﷺ - المدينة، بدأت مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الاسلامية، مرحلة وضع ركائز الدولة، وبناء القواعد القوية التي سينطلق منها الاسلام الي الناس جميعا، لينير العقول، ويطرد الجهل ويدعو الناس الي عبادة الله وحده لا شريك له، وقد ظهرت علي طريق المسلمين عقبات عمل الرسول - ﷺ - علي تخطيها واحدة بعد الاخري.

حمي المدينـــة :

ماان استقر الرسول - ﷺ - في المدينة حتي مرض كثير من المهاجرين، لاختلاف الديار وتبدل الأجواء، فلم يكن هواء المدينة وجوها موافقا للمهاجرين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من أهل مكة فثقل المرض علي المهاجرين وأخذ بعضهم من تأثير حمي المدينة يحن الي مكة، وهذا يغير النفوس ويضعف الحمية للجهاد والكفاح ويشمت الاعداء. فقال - ﷺ - :"لا يصبر علي لأواء المدينة وشدتها احد من أمتي إلا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة، ولا يدعها رغبة عنها الا أبدل فيها من هو خير منه" (١).

يدفع الرسول - ﷺ - بذلك الوسواس عن قلوب المؤمنين ليثبتهم ويظهر لهم أن هذا نوع من الاختبار والابتلاء سيعافيهم الله منه وستكون المدينة وطنا للصالحين والمتقين من عباده.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:" لما قدم النبي - ﷺ - المدينة وعك ابو بكر وبلال، فدخلت عليهما، فقلت يا أبت كيف تجدك، ويا بلال كيف تجدك؟

وكان أبو بكر إذا اخذته الحمي يقول :

كل امريء مصبح في أهله

والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا خفت عنه الحمي يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بواد وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة

وهل يبدون لي شامة وطفيل(٢).

---

(١) الامام مسلم جـ ٤ صـ ١٢٠

(٢) قتيبة بلاد البتن الصحراء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قالت عائشة :فأخبرت رسول الله - ﷺ - بذلك، فقال :" اللهم حبب إلينا المدينة كحبنامكة او أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حماها بالجحفة."(١).

وعن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ -:" اللهم اجعل المدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة."(٢).

بهذا الثبات وهذا الدعاء، وهذه البركة ارتفعت الروح المعنوية بين المسلمين واتجهت القوي الفتية الي البناء.

ومن هنااخذ الرسول - ﷺ - يضع الدعائم للمجتمع الجديد التي تتمثل في :

أ- صلة الناس بربهم بالعبادة والشعائر.

ب- صلة المسلمين بعضهم مع بعض بقانون أخلاقي ونظام رباني.

جـ- علاقة المسلمين بمن يحيطون بهم ولا يدينون بدينهم في السلم والحرب

د- تدريب المسلمين علي الجهاد وتكوين جيش قوي للدفاع عن الدولة.

وقد ظهر ذلك جليا في أعمال وأفعال قام بها الرسول - ﷺ - منها :

١- بناء المسجد النبوي الشريف :

بدا الرسول - ﷺ - منذ دخوله المدينة في تاسيس المسجد ليكون قاعدة لشعائر الاسلام التي طوردت، ولتقام فيه الصلوات الخمس التي تربط العبد

---

(١)اخرجهُ البخاري ٩٩/٧ومسلم ١١٩/٤ وأحمد٦٥/٦-٢٢٢-٢٣٩.

(٢)اخرجه البخاري ٧٨/٥ ومسلم ٤/ ١١٥ واحمد ١٤٢/٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بربه، وليكون مكانا لتجمع المسلمين وتآخيهم، ودارا للعلم والتهذيب والتربية، استاذها ومعلمها رسول الله - ﷺ - وطلابها هم أصحابه الأبرار رضوان الله عليهم، ومحكمة للقضاء بما أنزل الله، يفصل فيها الرسول - ﷺ - أو من ينوب عنه بين المتخاصمين وساحة للشوري يتداول فيها الرسول - ﷺ - والمسلمون في أخص شئونهم وأمورهم، وركيزة لجند الرحمن وقيادة الكتائب، تعقد الالوية لرؤساء الجيوش وقادة السراياويزودون بالنصح والارشاد، ونزلا لاستقبال الوفود وأخذ البيعة والعهود، ومركزا للرسل الذين يوجهون الي الدول لدعوتهم الي الإسلام، كماكان ملاذا للمحتاجين والمعوزين.

واختار الرسول - ﷺ - موقع هذا المسجد في المكان الذي بركت فيه ناقته - ﷺ - وكان يومئذ مربدا[1] لغلامين يتيمين في المدينة كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل، فساومهما فيه الرسول - ﷺ - فقالا : بل نهبه لك يارسول الله فأبي حتي ابتاعه بالثمن، وأخذ الرسول - ﷺ - ينقل التراب يعاونه أصحابه وهو يقول والصحابة يرددون معه:

لا هم إن الأجر أجر الاخرة

فارحم الانصار والمهاجرة

وقد ضاعف حماسة الصحابة في بناء المسجد رؤيتهم للنبي - ﷺ - يجهد كأحدهم ، ويكره أن يتميز عليهم

ولهذا قال قائلهم :

لئن قعدناوالرسول يعمل

لذلك منا العمل المضلل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتم بناء مسجد متواضع باللبن ولكن جانبي الباب كانا من الحجارة، وكان سقفه من جريد وأعمدته من جذوع النخل، ولا يزيد ارتفاعه عن القامه الا قليلا، وقد جعلت قبلته في الشمال الي بيت المقدس، وجعل له ثلاثة ابواب، وفرش بالحصباء، ولم يزين المسجد بفرش ولا بحصير، وبني بجانبه حجرات أزواج النبي - ﷺ - ملاصقات له علي شكل بنائه.

هذا هو المسجد الذي خرج الرجال الذين ملأوا الدنيا فضلا وإيمانا وعلما، وصالوا في العالمين وجالوا فاتحين الممالك الكافرة قاهرين العروش الظالمة.

هذا هو المسجد الذي نزل فيه الوحي وعلمت فيه الشريعة وانطلقت منه الهداية.

لم ينصرف المسلمون زمن رسول الله الي تزيين المساجد، ولكنهم انصرفوا الي تزيين الاخلاق والأعمال، ولا إلى تشييد المباني ولكن الي تربية الرجال، ولا إلى الفخر باقامة المآذن ولكن الي العزة باقامة شريعة الاسلام ورفعة شأن القرآن.

فضل المسجد النبوي:

ورد في فضل هذا المسجد النبوي الشريف أحاديث كثيرة منها ماثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله - ﷺ - قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصي ".

وجاء في الصحيحين أيضا ان رسول الله - ﷺ - قال: " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري علي حوضي".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال -ﷺ- :"صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد الاالمسجد الحرام"(١).

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والانصار:

خرج المهاجرون من ديارهم في مكة، وتركوا دورهم وأموالهم وذويهم، وقصدوا المدينة ابتغاء نصرة دين الله وإعزاز رسالته، فتلقاهم إخوانهم فى المدينة بالفرح والسرور وتنافسوا في إيوائهم و اكرامهم، فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة، وعقد الرسول -ﷺ- بينهم أخوة متينة فآخي الرسول- ﷺ - بين حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله وزيد بن حارثة مولي رسول الله -ﷺ- واليه أوصي حمزه يوم احد، وبين أبي بكر وخارجة بن زيد الانصاري الخزرجي، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة ابن وقس، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وبين مصعب بن عمير وابي أيوب الانصاري، وبين أبى حذيفة وعباد بن بشر وبين عمار وحذيفة بن اليمان .

تأَليف الله القلوب:

من يتأمل الحب الكبير بين المسلمين في العصر الأول يقول:

هذا ليس من تأثير بشر وعمل انسان، وانما هو بفضل الله ورحمته سبحانه وتعالي، وصدق الله:﴿لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم﴾ (٢) ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا﴾ (٣).

---

(١)مسلم ١٢٤/٤

(٢)الانفال الاية ٦٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأول ثمار هذا الحب في الله هو تلك الأخوة وهذا الإيثارالذي ظهر بين المهاجرين والانصار، فأصبحوا بنعمة الله اخوانا حتي أشاد القرآن بهذا السمو الروحي فقال سبحانه :﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(١).

شعر الأنصار بحاجة إخوانهم المهاجرين الذين تركوا أموالهم في مكة في سبيل الله، فقدروا ظروفهم، فآووهم ونصروهم وضربوا في الاخلاص والتفاني المثل الأعلى حتى قال الله فيهم:" ﴿ويؤثرون علي انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾

أخوة الإيمان العظيمة:

الإخاء الحق في الله هوالذي تذوب فيه عصبيات الجاهلية، فلا عزة الا بالاسلام ولا رفعة إلا بالايمان، وهو الذي تسقط فيه فوارق النسب واللون والوطن، وتسقط فيه تلك الأنانية الجشعة، ويتحرك فيه الفرد بحب الجماعة فلا يري لنفسه مصلحة دونها ولا عزة بغيرها.

هذا الإيخاء لا ينبت إلا في مجتمع الإيمان ولا يثمر إلا في ظلال التعاليم الربانية، فلا يظهر في البيئات الجاهلية ، ولا تعرفه مجتمعات الجشع والجبن والبخل والرزيلة.

روي البخاري أن المهاجرين لما قدموا المدينة آخى الرسول - ﷺ - بين عبد الرحمن بن عوف وسعدبن الربيع فقال سعد لعبد الرحمن : إنى أكثر

---

(١) الحشر (٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأنصار مالا، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما اليك فسمها اطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها.

قال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟

فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب الا ومعه فضل من اقط وسمن!!

ثم تابع الغد .. ثم جاء يوما وبه أثر صفرة ، فقال النبي -ﷺ- :" مهيم" (١).

قال : تزوجت قال كم سقت اليها؟ قال نواة من ذهب!!

جهاد المهاجرين في طلب الرزق:

رغم هذا الحب والعطاء والكرم، الا أن عبد الرحمن بن عوف دعا لسعد بن الربيع أن يبارك الله له في ماله وأن يبارك الله له فى أهله وطلب دلالته علي السوق بوصفه تاجرا، وهذه عفة و كرامة ورجولة وثقة في رزق الله وعطائه بغير حدود.

وأراد الرسول - ﷺ- أن يفتح باب العمل والكد أمام المهاجرين وان يكون مجتمعا منتجا متعاونا متكاتفا لا يكون فيه أحد عبئا علي غيره فقال - ﷺ- إخوانكم قد تركوا الاموال والأولاد وخرجوا اليكم، فقالت الانصار: أموالنا بيننا وبين اخواننا قطائع" اي نصفين".

فقال الرسول- ﷺ- "أو غير ذلك"

قالوا " وما ذاك يارسول الله؟

---

(١)سؤال عن حاله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال : يكفونكم المؤنة وتقاسمونهم الثمر.

قالوا:سمعنا وأطعنا[١] أي ان المهاجرين يكفون الأنصار مؤنة العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها واصلاحها وفلاحتها وغير ذلك علي أن يكون اجرهم مقاسمة اخوانهم في الثمار الناتجة من هذه البساتين.

نعم خرج المهاجرون الي العمل والكفاح في طلب الرزق وساعدوا اخوانهم ولم يستغلوا كرم الأنصار وأموالهم ما داموا يقدرون علي العمل والكسب الحلال.

فلئن كان الانصار كرماء فالمهاجرون أعفة عظماء، ولكن هؤلاء اهل ديار و أموال فأولئك أهل قوة وعزائم، وكان الحب والإيثار وكانت العفة والكرامة والعمل، وكان المجتمع الإيمانى الفريد.

معاهدة الرسول مع اليهود :

أراد الرسول -ﷺ- أن يجعل المدينة دار امن وسلام حتى يتفرغ لنشر دعوة الإسلام وتربية اصحابة علي منهجة، ولتكون ملاذا لكل مؤمن في مشارق الارض ومغاربها، وحتي يستطيع تدريب جيش قوي قادر علي رد العدوان، والدفاع عن الحق ورفع راية الاسلام، هذا وقد دخل الاسلام كل بيت من بيوت الأنصار الذين قابلوا الرسول-ﷺ- كما علمت بالحب والترحاب، ولكن المدينة يسكنها مع الأنصار اليهود، فما كانت لتصبح دار امن الا بعد ان يدخل اليهود في الاسلام ، وهذا امر قد نفروا منه، أو يسالمهم رسول الله-ﷺ- وهذا شيء ممكن الوقوع.

---

(١)فتح البارى شرح البخارى ٨/٥ ط دار المعرفة باب المزراعة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اليهود في المدينة :

كان يساكن الأوس والخزرج في المدينة قوم من اليهود ، وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وكانوا قبل البعثة النبوية يستفتحون علي المشركين من العرب اذا نشبت الحرب بينهم بنبي قد قرب زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما جاءهم ما عرفوا، وبعث رسول الله- ﷺ- استكبر رؤساؤهم حسدا وبغيا، أن تكون النبوة في ولد اسماعيل وفي العرب، ولم تكن في بني اسرائيل فكفروا بما أنزل الله ظلما وبغيا، وقد بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالي :{فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علي الكافرين * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون} (١).

قالت صفية بنت حى: لما قدم رسول الله -ﷺ- قباء قرية بني عمرو بن عوف غدا إليه من اليهود ابي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما رجعا الا مع مغيب الشمس، فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين، يمشيان الهوينا، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما نظر الىّ واحد منهما .

فسمعت عمي اباياسر يقول لابي :أو هو؟

قال: نعم والله.

قال: نعرفه بنعته وصفته؟

قال : نعم والله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: فماذا في نفسك منه؟

قال: عداوته والله ما بقيت.

فقال له أخوه ابو ياسر : يابن أمى أطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك.

قال: لا والله لا اطيعك أبدا ، واستحوذ عليه الشيطان، واتبعه قومه علي رأيه، وقدشرب عداوة النبي- ﷺ- وأصحابه، ولم يزل علي ذلك - لعنه الله حتي قتل صبرا يوم قتل مقاتلة بني قريظة(١).

وهكذا تظل عداوة اليهود للاسلام والمسلمين مبعثها الحقد والحسد والبغي والعدوان، ولا يقطعها الا الحق وقوته والايمان وجنده وصدق الله :{كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض} (٢).

اسلام عبد الله بن سلام:

حينما تسطع أنوار الهداية، وتشرق اشعة الايمان على الدنيا تراها العيون الصحيحة، وتتفتح لها القلوب السليمة، وتهفو لها الأرواح المشوقة، وقد تعمي عنها العيون المريضة والقلوب الغلف والبصائر الميتة، وكان عبد الله بن سلام رضي الله عنه من الصنف الأول الذي دخلت أضواء الايمان قلبه فأبادت حقد اليهود وحسدهم، فدخل في دين الله سبحانه.

قال رضي الله عنه : لما جاء رسول الله - ﷺ- المدينة كبرت فقالت

---

(١)سيرة ابن كثير ٢٩٨/٢ الحلبى

(٢)الرعد-(١٧)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمتي خالدة بنت الحارث حين سمعت تكبيري : لو كنت سمعت بقدوم موسي بن عمران ما زدت[١].

فقال لها : اي عمتي، هو أخو موسي بن عمران وعلي دينه بعث بما بعث به.

فقالت له : يابن أخى أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟

قال: قلت لها : نعم.

قالت : فذاك اذن.

قال : فسارعت في الذهاب الي لقائه فلما رأيت وجهه- ﷺ- عرفت انه ليس بوجه كذاب، وعرفت انه رسول الله- ﷺ- وكان اول شيء سمعته يقول:"افشوا السلام ، واطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام".

فقدمت اليه - ﷺ- وقلت : أشهد أنك رسول الله ، وأنك جئت بالحق، وقد علمت يهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وأبن اعلمهم، فادعهم فسلهم عني قبل ان يعلموا اني قد اسلمت، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىّ ما ليس فىّ.

دعوة الرسول - ﷺ- لليهود ومواجهتهم بابن سلام:

ارسل الرسول- ﷺ- الي اليهود فدخلوا عليه، فقال لهم :"يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا، واني جئتكم بالحق فاسلموا".

---

(١)المائدة -٨٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال: ما نعلمه - قالوا ذلك للنبي - ﷺ- فاعاد الرسول عليهم ذلك

لاث مرات،

ثم قال لهم:" فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟:

قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال الرسول- ﷺ-

افرأيتم إن إسلم" ؟

قالوا :حاشي لله ما كان ليسلم.

قال الرسول - ﷺ- :"يابن سلام اخرج عليهم" فخرج عليهم ابن سلام

ال: يا معشر يهود اتقوا الله فو الله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون أنه

سول الله وانه جاء بالحق، فقالوا : كذبت وسبوه فأخرجهم - ﷺ- فقال عبد

له بن سلام: يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف منه حين يعلموا باسلامي.

قال عبد الله بن سلام : وأظهرت اسلامي واسلام اهل بيتي واسلمت

متى خالدة بنت الحارث .

وهكذا الايمان حين تخالط بشاشته القلوب، يصدع صاحبه بالحق ويجهد

ي بلاغه ويتخلي عن الحسد والكبر والغرور.

ابتلاء المؤمنين في المدينة باليهود:

كما ابتلي الله سبحانه المسلمين في مكة بالمشركين، ابتلاهم في المدينة

اليهود، وكان هؤلاء اليهود اعداءً للاوس والخزرج"الانصار"قبل ان يدخلوا في

لاسلام، وكان شغلهم الشاغل إيقاد الفتن بينهم، فلما دخل الاوس والخزرج في

لاسلام، وقوي أمرهم بمجيء اخوانهم المهاجرين، وصار الكل انصاراً لله

زدادت عداوتهم وحقدهم عليهم وصدق الله :« لتجدن اشد الناس عداوة للذين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آمنوا اليهود والذين اشركوا »[1] فكان من سياسة الرسول - ﷺ- أن يجعل المدينة صفا واحدا ،وقوة متحدة، حتي تكون قاعدة آمنة فلا يطمع فيها طامع، او ينال منها عدو، فمد يده- ﷺ- الي اليهود معاهدا، لأنهم يساكنون المسلمين في المدينة وينتشرون حولها.

نصوص المعاهدة :

كتب الرسول - ﷺ- معاهدة بين المسلمين واليهود في المدينة، حملت من التسامح والتجاوز والحرية ما لم يعرف في عالم مليئ بالتعصبات والانحرافات، ولا يعرف الا سياسة السلب و النهب والمصادرة، وكان من نصوص تلك المعاهدة ما يلي :

١- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة.

٢-المسلمون واليهود بينهم النصرة علي من حاربهم، او داهم يثرب وعلي المسلمين نفقتهم وعلي اليهود نفقتهم.

٣-للمسلمين دينهم ولليهود دينهم، لا بغي ولا عدوان ولا إكراه.

٤- علي أهل هذه الصحيفة النصح والبر دون الاثم.

٥-من ظلم أوْ يغي فإثمه على نفسه وعلى أهله.

٦-ما كان من أهل المدينة من شجار يخاف فساده فمرده الى الله والى محمد.

---

(١) المائدة : ٨٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧-من خرج من المدينة آمن، ومن قعد آمن، الا من ظلم وأثم، وان الله جار لمن بر واتقي.

٨-لايجير مشرك مالا لقرشي ولا نفسا، ولا يحول دون مؤمن، ولايحل لمؤمن بالله واليوم الاخر، وأقر بما في هذا الصحيفة أن ينصر محدثا، ولا يؤويه، وأنه من نصره وآواه فان عليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة، ولا يوخذ منه صرف ولا عدل،

اهداف المعاهدة:

لا شك ان هذه المعاهدة كان لها تاثير طيب وأهداف كريمة ونتائج جيدة علي المجتمع في المدينة وقت الالتزام بها، حيث تحث بنود هذه المعاهدة علي إشاعة الاستقرار والطمأنينة والأمن في المدينة، وكان من أهدافها ما يلي:

١-افساح المجال للمسلمين لترتيب أحوالهم ونشر دينهم وتدريب جنودهم والتفرغ الي عدوهم.

٢- اقرار مفهوم الحرية الدينية والاعتراف بأهل الكتاب وحب التعايش معهم، وترك العصبية، وإفساح المجال للنظر والتفكر.

٣- نشر السكينة في المدينة وما حولها.

٤-الغاء النصرة بالقبيلة والعصبية لها، وابدالهابالأخوة الاسلامية، والدفاع عن العقيدة الدينية.

٥-نصرة المظلوم ودحر الظالم، وعدم موالاته، وردعه، ومحاسبة الآثم.

٦- الاعتراف بالدولة الاسلامية في المدينة وبروزها كحقيقة واقعة وقوة مؤثرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧-اعطاء الرياسة العليا للرسول -ﷺ- والنزول علي حكم الله ورسوله، ووضع حدود لتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم.

ومن هذا يعلم براعة الرسول -ﷺ- السياسية والتنظيمية، وحسن تصرفه -ﷺ- كما يعلم ان الاسلام ينتشر بدولة وقيادة تحمل لواء الدعوة اليه، والجهاد في سبيله، كما ان هذا يعطي فكرة- واضحةعن قدرة- الاسلام والقيادة المسلمة علي ادارة الامور برفق وعزم وعدالة، كمايظهر هذا سماحة الاسلام، وحبه لمعايشة الناس والتفاهم معهم بغير جبر، او ارهاب وقهر.

نتائج تلك المعاهدة :

لا شك أن هذه المعاهدة أتاحت للدولة الإسلامية الجديدة بعض الوقت للاستعداد لمصارعة القوي الوثنية المتربصة علي الحدود ، ومنازلة جيوشها المتحدة والمتحدية للمسلمين، كما أتاحت الفرصة للاستقرار النفسي والتربوي فترة معينة كما منعت العون العسكري والمادي بين اليهود والمشركين الوثنيين، ولو لفترة من الوقت وقد كان من المؤمل من اليهود- وهم أهل كتاب- أن يتجاوبوا مع الدعوةالجديدة ؛ ويقوموا بمساندتها في لحظات الخطر والصراع ضد العدو الوثني المشترك، ولكن الذي حدث بعد ذلك من عداء اليهود للمسلمين ومن مساندتهم للمشركين، غير مجري العلاقات بينهما ، وجمد بنود الصحيفة المتعلقة بهم، لا لشيء الا لانهم اختاروا النقض علي الوفاء، والخيانة علي الامانة، والمنفعة الشخصية علي الاهداف الايمانية والمستقبلية، وتحمل الرسول-ﷺ- في سبيل الابقاء علي مودتهم الكثير، يمد يده اليهم ويتحمل الاذي مسامحا ،حتي اذا رآهم مجمعين علي التنكيل به، ومحو دينه ومناصرة عدوه، استدار اليهم، وانتصف منهم، وجرت بين المسلمين وبين اليهود من الوقائع ما هو معروف { وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون}.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكوين الجيش وتدريبه:

ان قيام دولة يعني بالضرورة قيام جيش يحمي هذه الدولة ويدافع عنها ويرد عنها كيد الكائدين. وقد اعلن الرسول -ﷺ- عن قيام دولة الاسلام التي تحمل عقيدته ومبادئه لتبلغها للناس، وعقد لذلك المعاهدات والمصالحات، فكانت الخطورة التي تلي ذلك مباشرة، تدريب جيش قوي قادر علي خوض المعارك وكسب الحروب والدفاع عن المدينة وتاديب المعتدين.

التوقيت والاعداد:

المتطلع الي الفترة المكية في حياة الدعوة الاسلامية يجدها حفلت بالتربية للفرد وبترسيخ الدعوة للاصول الاسلامية، ولم يكن من الممكن ان يلتفت الرسول -ﷺ- الي اي عمل عسكري في تلك الفترة رغم الايذاء والاضطهاد - وانما كان يدعو الي التريث والتحمل واحتمال المشاق، حتي لا يعرض اصحابه للهلاك قبل مرحلة النضج والاستعداد، وقبل وضع الخطة والخطوات الثابتة لتاسيس الدولة، كما كان الولاء في هذا المجتمع ما زال للعصبية والقبيلة لا للايمان، ومعني هذا ان القتال سيكون قتالا قبليا، لا عقائديا دفاعا عن الاسلام، فلما تكونت الدولة الاسلامية في المدينة وتهيات للمسلمين اسباب النصر واخوة العقيدة، كماتهيا لهم الامن والاستعداد، نزل الامر يالقتال.

يقول ابن هشام :"كان الرسول -ﷺ- قبل بيعة العقبة لم يوذن له بالحرب ولم تحلل له الدماء، وانما يؤمر بالدعاء الي الله والصبر علي الأذي والصفح عن الجاهلين...وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتي فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم، فهم بين مفتون في دينه، ومعذب في ايديهم، وبين هارب في البلاد فرارا منهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منهم من بارض الحبشة ومنهم من بالمدينة او في كل وجه، فلما عتت قريش علي الله عز وجل وردوا عليه ما اراد بهم من الكرامة، وكذبوا نبيه وعذبوا ونفوا من عبده وصدق نبيه واعتصم بدينه، اذن الله عز وجل لرسوله بالقتال والانتصار ممن ظلمهم وبغي عليهم.

فكانت أول آية نزلت في اذنه للحرب واحلاله للدماء والقتال قوله تعالي: "أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله علي نصرهم لقدير ۞ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولواربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن اللهُ من ينصره إن الله لقوي عزيز ۞ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونَهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[1]

وبهذا قامت دولة الاسلام وعزت وصار للحق حمي يلجأ اليه وجند يدفع عنه، وراية تخفق وهداية تجوب آفاق الارض تلفق الناس الي صراط العزيز الحميد.

وصدق الله :﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فرق بكم عن سبيله﴾[2].

(وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم - آمين)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من اهم المراجع

١-القرآن الكريم

٢-فتح الباري لابن حجر العسقلاني

٣-الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر

٤-اسد الغابة في معرفة الصحابة

٥- سيرة ابن هشام

٦- بنو اسرائيل في القرآن والسنة للدكتور طنطاوي

٧-البداية والنهاية لابن كثير

٨-الروض الانف للسهيلي

٩-فقه السيرة للامام الغزالي

١٠- نورالبقين للخضري

١١-زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية

١٢-تفسير القرطبي

١٣-تفسير ابن كثير

١٤-اللؤلؤ والمرجان

١٥-دلائل النبوة للبيهقي

١٦-اضواء علي الهجرة لتوفيق السبع

١٧-السيرة النبوية- درس وعبر -لمصطفي السباعي

١٨-مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول -ﷺ- لاحمد ابراهيم الشريف.

١٩-خاتم النبيين للشيخ محمد ابو زهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner